السَّنة الخامسةُ بعد المئتين

فيها ولَّى المأمونُ طاهرَ بن الحسينِ من مدينة السلامِ إلى أقصى عملِ المشرق، خُراسانَ وغيرِها، وكان إليه قبل ذلك الجزيرةُ وشُرطةُ المأمونِ وجانبا بغدادَ والسَّواد(١).

وسببُ توليتِه ما حكاه بِشرٌ المَرِيسيُّ قال: حضرتُ عند المأمونِ أنا وثُمامةُ ومحمدُ ابن أبي العباسِ وعليُّ بن الهيثم، فتناظروا في التشيُّع، فنصر محمدٌ الإماميَّة، ونصر عليٌّ الزَّيدية، وجرى الكلامُ بينهما إلى أن قال محمدٌ لعلي: يا نَبَطي، ما أنت والكلامُ في هذا! وكان المأمون متَّكئاً، فجلس وقال: الشَّتم عِيّ، والبذاءُ لؤم، وإنَّا قد أبحنا الكلام، وأظهرنا المقالات، فمَن قال الحقَّ حمدناه، ومَن جهله وقفناه، ومَن جهل الأمرَين حكمنا فيه بما يجب، فاجعلا بينكما أصولاً وفروعاً.

فناظره محمدٌ فعاد إلى مقالته الأولى، قال له عليّ: واللهِ لولا جلالةُ مجلسِ أميرِ المؤمنين وما وهب اللهُ له من الرَّأفة، ولولا ما نهى عنه لأَعرقتُ جبينَك، وبحسبك من جهلك غسلُ منبر رسولِ الله ﷺ بالمدينة(٢). فقال المأمون: وما غسلُ المنبر! ألتقصيرٍ منِّي في أمرك، أو التقصيرُ من المنصور في أمر بيتِك(٣)؟ ولو لا أنَّ الخليفةَ إذا وهب شيئاً استحى أن يرجعَ فيه، لَكان أقربَ شيءٍ بيني وبينك [إلى] الأرض [رأسُك] قُمْ وإياك أن تعود.

فخرج ومضى إلى طاهر، وكان زوجَ أخته، فأخبره، فركب طاهرٌ إلى دار المأمون، فلمَّا دخل عليه قال: اجلس، فجلس، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، ليس لصاحب الشُّرطةِ أن يجلسَ بين يدي سيِّده، فقال له المأمون: ذاك في مجلس العامَّة، وأمَّا مجلسُ الخاصَّة فلا، وكان المأمونُ على حال، ثم بكى وتغرغرت عيناه بالدُّموع، فقال

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٧، والكامل ٦/ ٣٦٠: ومعاون السواد.

(٢) في (خ): لا عرفت جبينك من عقلك غسل منبر رسول الله ﷺ بالمدينة. والتصويب من تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٧.

(٣) كذا في (خ)، ولم يرد الخبر في (ب)، والذي في تاريخ الطبري: أمر أبيك. وكذا وردت في تجارب الأمم لمسكويه، أحداث سنة (٢٠٥هـ).

له طاهر: لم تَبكِ؟ لا أبكى اللهُ لك عيناً، واللهِ لقد دانت لك البلاد، وأَذعنَ لك العباد، وصرتَ إلى ما تحبُّ في كلِّ أمرك، فقال: أبكي لأمرٍ ذِكرُه ذُلّ، وسَتره الحزن، ولن يخلو أحدٌ من شجو، فتكلَّم بحاجةٍ إن كان لك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، محمدُ بن أبي العباسِ أخطأ، فأَقِلْه عَثْرَته وارضَ عنه، فقال: قد رضيتُ عنه وأمرتُ بصلته ورددتُه إلى مرتبته، ولو كان من أهل الأُنس لأحضرتُه. وانصرف طاهر.

وكان حسينٌ الخادمُ صاحبَ شرابِ المأمون، فأرسل إليه طاهرٌ مئتي ألفِ درهم، وإلى كاتبه محمدِ بن هارونَ مئةَ ألفِ درهم، وقال: سَلِ المأمونَ لَمَ بكى لمَّا دخلتُ عليه. فلما تغدَّى المأمونُ قال للحسين: اسقني، قال: لا أفعلُ حتى تُخبرَني لَمَ بكيتَ لمَّا دخل طاهر، فقال له: مالك ولهذا! قال: غممتني بذلك، فقال: واللهِ لئن خرج من رأسك لأَقتلنَّك، فقال: يا سيِّدي، ومتى أذعتُ لك سرًّا ! فقال المأمون: لمَّا دخل طاهرٌ ذكرتُ ما نال أخي محمداً من الذُّلِّ والهوان، فخنقتني العَبرة، ولن يفوتَ طاهراً منِّي ما يكره.

فأخبر حسينٌ طاهراً، فاجتمع طاهرٌ بأحمدَ بنِ أبي خالدٍ كاتب المأمون فقال له: إنَّ المعروفَ عندي ليس بضائع، والثناءَ مني ليس برخيص، فغيِّبْني عن عينه، فقال: سأفعل. فأَصبح ابنُ أبي خالدٍ إلى المأمون فقال له: مانمتُ البارحة، قال: ولم؟ قال: ولَّيتَ غسانَ بن عبادٍ[1] خُراسان، و[هو و][2] مَنْ معه أَكَلَةُ رأس، وأخاف أن تخرجَ عليه خارجةٌ من التُّرك فتصطلمَه[3] ومَن معه، قال: لمن ترى بخُراسان؟ قال: طاهر، فقال: ويحك، إنَّه واللهِ خالع، وفي رأسه غَدرة. فقال: أنا ضامنٌ له، فقال: ولِّه، فولَّاه، وبعث طاهرٌ إلى ابن أبي خالدٍ بمئة ألفِ دينار[4]، وسار إلى خُراسانَ من بغدادَ يومَ الجمعةِ لليلةٍ بقيت من ذي القَعدة. وغسانُ بن عبادٍ[5] هو ابن عمِّ الفضلِ بن سهل.

(١) في (خ): بن أبي خالد، وهو خطأ، والمثبت من المصادر.
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٩ .
(٣) في (خ): فيستطلمه، والمثبت من تاريخ الطبري، وتحرفت في المنتظم ١٠/ ١٤٢ إلى: فتصطلحه. وفي الكامل ٦/ ٣٦١: فتهلكه.
(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٩ : فحمل إليه في كل يوم ما أقام فيه مئة ألف، فأقام شهراً، فحمل إليه عشرة آلاف ألف التي تحمل إلى صاحب خراسان.
(٥) في (خ): وغسان بن أبي خالد. وهو خطأ.

وفيها قدم عبدُ الله بنُ طاهرٍ بغدادَ منصرفاً من الرقَّة، وكان أبوه قد استخلفه عليها لقتال نصر بن شَبَث، وكان طاهرٌ يكره قتالَه لحقارته، وكان الحسنُ بن سهلٍ لمَّا قدم بغدادَ جهَّز طاهراً لقتال نصر، فقال طاهر: حاربتُ خليفةً وسُقت الخلافةَ إلى خليفةٍ وأُومَر بمثل هذا! وإنَّما كان ينبغي أن يوجِّهَ إليه قائداً من قوَّادي، وصارم طاهرٌ الحسنَ على هذا، فلمَّا ولي خُراسانَ قيل له: تخرج إليها وأنت مصارم الحسن؟! فقال: ما كنت لأَحُلَّ عقدةً عقدها الحسنُ لي في مصارمته.

وفيها ولَّى المأمونُ عيسى [بنَ محمد][١] بنِ أبي خالدٍ إرمينيةَ وأَذْرَبيجانَ ومحاربةَ بابك[٢].

وفيها مات داودُ بن يزيدَ عاملُ السِّند، فولَّاها المأمونُ بِشرَ بن داودَ على أن يحملَ إليه في كلِّ سنةٍ ألفَ ألفِ درهم[٣].

وحجَّ بالناس عُبيد اللهِ بنُ الحسن، وهو والي الحرمين.

وفيها توفِّي

بشرُ بن بكرٍ

الدمشقيُّ بدمياط. ولد سنةَ أربعٍ وعشرين ومئة [وكان أكثرُ مُقامه][٤] بتِنِّيس ودِمياط، وتوفِّي بدمياط مرابطاً مجاهداً، وكان صالحاً فاضلاً.

أسند عن الأوزاعيِّ وغيره، وروى عنه الشافعيُّ، وعبدُ الله بنُ وهب، وهما أقدمُ [وفاةً][٥] منه. وكان ثقة.

[فصل] وفيها توفِّي

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر.
(٢) من قوله وسبب توليته . . . إلى هنا لم يرد في (ب).
(٣) في (خ): ستة آلاف ألف درهم، والمثبت من (ب) وهو الموافق للمصادر.
(٤) ما بين حاصرتين من المصادر. انظر تاريخ دمشق ٣/ ٣٠٩ (مخطوط)، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٥٠٨. والترجمة كلها ليست في (خ).
(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق.

أبو سليمان الدَّاراني

[واسمهُ][١] عبدُ الرحمن [واختلفوا في اسم أبيه، والمشهورُ أنه عبدُ الرحمن] بنُ أحمدَ بنِ عطية [وقيل: عبدُ الرحمن بن عطية]، وقيل: عبدُ الرحمن بنُ عسكرٍ العَنْسي.

ويقال: أصلُه من واسط، وانتقل إلى الشام فنزل داريَّا، قرية غربيَّ دمشقَ معروفة.

وهو من الطبقة السادسة من أهل الشام، [وكان] كبيرَ الشأنِ في علوم الحقائقِ والورع، وأثنى عليه الأئمَّة [فقال أبو عبدِ الرحمن السُّلَمي:][٢] كان له الكلامُ المتين والأحوالُ السَّنية والرِّياضاتُ والسِّياحات [وهو أستاذُ أحمدَ بن أبي الحواري.

وقال الخطيب[٣]: كان أبو سليمانَ أحدَ] عبادِ الله الصالحين[٤] والزُّهَّاد والمتعبِّدين، ورد بغداد، فأقام بها مدَّة، ثم عاد إلى الشام، فأقام بداريَّا حتى توفِّي بها[٥].

ذِكر طَرَفٍ من أخباره [وما لقي في سياحاته:

قال الخطيبُ[٦] بإسناده إلى إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ أبي حسَّان الأنماطيِّ قال: حدَّثنا أحمدُ بن أبي الحَوَاري قال: سمعت أبا سليمانَ يقول:] سمعتُ [أبا جعفر] المنصورَ[٧] يبكي في خُطبته يومَ الجمعة، فغضبتُ، فقلت: أقوم فأَعظه بما أعرف من فعله، فتفكَّرت أن أقومَ إلى خليفةٍ فأَعظَه والناسُ جلوسٌ يرمقوني بأبصارهم فيعرضَ لي تزيُّن[٨]، فيأمرَ بي فأُقتلَ على غير تصحيح، فسكتُّ.

وقال: لولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا، واللهِ ما بقائي فيها لشَقِّ الأنهار وغرسِ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب). ولم نقف على كلامه في طبقاته.
(٣) في تاريخه ١١/ ٥٢٣، وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (خ): وهو من عباد الله الصالحين.
(٥) بعدها في (خ): في هذه السنة، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة خمس وثلاثين، والأول أصح، وقبره ظاهر يزار. اهـ. وسيأتي مفصلاً من (ب) في آخر الترجمة. وقوله هنا: سنة خمسين، لم أجد من ذكره.
(٦) في تاريخه ١١/ ٥٢٤، وينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٣، وما بين حاصرتين من (ب).
(٧) في (خ): قال: سمعت المنصور، والمثبت من (ب).
(٨) في تاريخ بغداد وصفة الصفوة: تزنن.

الأشجار.

و[وروى أبو نُعيم(١) عن أحمدَ بن أبي الحواريِّ قال] قال [أبو سليمان:] كنتُ في ليلةٍ باردةٍ في المحراب، فخبأت إحدى يديَّ من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة(٢)، فغلبتني عيني، فهتف بي هاتف: قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى مكشوفةً لَوضعنا فيها ما أصاب هذه، فآليت ألَّا أُخبئَ يدي أبداً.

و[روى أبو نُعيم(٣) أيضاً عن أحمدَ بنِ أبي الحَوَاري عن أبي سليمانَ] قال: نمتُ ليلةً عن وِردي، فإذا بحوراءَ تنبِّهني وتقول: أتنام وأنا أُربَّى لك في الخدور منذ خمسِ مئةِ عام! [وقد رواه الإسماعيليُّ، وفيه: بينما أنا ساجدٌ وذهب بي النوم، وإذا بحوراءَ قد ركضتني وقالت: حبيبي، أترقد عيناك والمَلِكُ يقظانُ ينظر إلى المتهجِّدين! بؤساً لعينٍ آثرتْ نومَة على مناجاةِ العزيز، قُمْ فقد دنا الفراغ، ولقي المحبُّون بعضَهم بعضاً. قال: فانتبهتُ وحلاوةُ منطِقها لَفي سمعي وقلبي(٤).

وروى أبو نُعيم عن] أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ قال(٥): قام أبو سليمانَ ليلةً إلى الوضوء، فأدخل يدَه في الإناء، وبقي على حاله حتى طلع الفجر، وخشيتُ أن تفوتَني الصلاة، فقلت: [رحمك اللهُ] ما هذا! الصلاةَ رحمك الله! فاسترجع وقال: يا أحمد، أدخلتُ يدي في الإناء، فعارضني عارضٌ من سرِّي: هَبْ أنك غسلتَ بالماء ما ظهر، فبمَ تغسل قلبَك؟ فبقيت مفكِّراً(٦).

[وحكى أبو نُعيم(٧) أيضاً عن] أحمدَ بن أبي الحواريِّ قال(٨): حججتُ مع أبي سليمان، فلمَّا أراد أن يلبِّيَ غُشي عليه، فلمَّا أفاق قلت: ما هذا؟! قال: بلغني أنَّ

---

(١) في الحلية ٩/ ٢٥٩، وينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٦ وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) وهذا أثناء الدعاء، كما في الحلية.
(٣) في الحلية ٩/ ٢٥٩ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) ينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٤-٢٢٥.
(٥) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري. ما بين حاصرتين من (ب).
(٦) ينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٦-٢٢٧.
(٧) في الحلية ٩/ ٢٦٣-٢٦٤، وينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٨.
(٨) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري.

الرجل إذا حجَّ من غير حلِّه فقال: لبَّيك، قال له الله: لا لبَّيكَ ولا سعدَيك، هذا حجُّك مردودٌ عليك إنْ لم تردَّ ما في يديك، فما الذي يؤمنني أن يقالَ كذلك.

فلمَّا[١] دخلنا مكَّة، قيل له: إنَّ هاهنا فتًى متعبِّداً لا يشرب إلَّا من زمزم، فجاء إليه أبو سليمانَ وقال: يا فتى، بلغني عنك كذا وكذا! قال: نعم، قال: أرأيتَ لو غارت زمزمُ فمن أين كنت تشرب؟ فقام الفتى وقبَّل رأسَ أبي سليمانَ وقال: جزاك اللهُ خيراً، فلقد أرشدتني، فإنِّي إنَّما كنت أعبد زمزمَ ولا أعلم.

[وحكى عنه أحمدُ بن أبي الحَوَاريِّ قال:][٢] بينا أنا في طريق بيتِ المقدس، إذا بامرأةٍ عليها جبَّةُ صوفٍ ورأسُها بين ركبتيها وهي تبكي، فسلَّمت عليها فردَّت، فقلت: ممَّ تبكين؟ قالت: وكيف لا أبكي وأنا أحبُّ لقاءه! قلت: لقاءَ مَن؟ قالت: وهل يحبُّ المحبُّ إلا لقاءَ حبيبه؟! فقلت: مَن محبوبُك؟ فصاحت صيحةً عظيمة وقالت: يا فارغَ القلب، وهل ثَمَّ محبوبٌ على الحقيقة إلا علَّامُ الغيوب! ثم بكت وقالت: إنك إذا صفَّيت قلبَك من العيوب، جال في رياض المَلَكوت، فعند ذلك تصل إلى [محبَّة][٣] المحبوب، فقلت: فكيف يكون أهلُ المحبَّة في محبَّتهم؟ فقالت: أبدانُهم نحيلة، وألوانهم متغيِّرة، وعيونُهم هاطلة، وقلوبُهم واجفة، وأرواحهم ذائبة، وألسنتهم بذكر محبوبِهم لَهِجة[٤]، فقلت: من أين هذه الحكمةُ التي تنطقين بها؟ فقالت: إنَّ الحكمة لا تجيءُ بطول العُمر، بل بصفاء الوُدِّ وحسنِ المعاملة، ثم صاحت: آه آه، ودَخَلت بين الجبالِ وهي تقول وقد غابت عنِّي: [من الخفيف]

قد كتمتُ الهوى فبُحْنَ[٥] بسرِّي عَبَراتٌ من الجفون تسيلُ
كتب الدمعُ فوق خدِّي سطوراً كلُّ وجدٍ بمَن هويتَ قليل

(١) تتمة الحكاية ليست في الحلية، وأوردها ابن خميس في مناقب الأبرار ١/ ٢٢٦.
(٢) في (خ): وقال أبو سليمان.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق لما في مناقب الأبرار ١/ ٢٣٠، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص٣٩١.
(٤) في (خ): رطبة، والمثبت من (ب).
(٥) في طبقات الأولياء: فباح.

فاعذِروني إذا بكيتُ[(١)] من الوجـ ـد فما لي إلى العزاءِ سبيل
إنَّ دمعي لَشاهدٌ لي على الحـ ـبِّ دليلٌ بأنَّ حزني طويل

[وحكى عنه أحمدُ بن أبي الحواريِّ قال][(٢)]: دخلت جبلَ اللُّكَّام، فسمعت صوتَ حزينٍ في ظلام الليلِ يقول: يا أَمَلي ويا مؤمَّلي، ومَن برضاه تمامُ عملي، أعوذ بك من بدنٍ لا ينتصب[(٣)] بين يديك، ومن قلبٍ لا يشتاق إليك، ومن عينٍ لا تبكي عليك. فعلمت أنَّه كلامُ عارف، فدنوت منه، وإذا بفتًى تُشرق أنوارُه في ظلمة الليل، فسلَّمت عليه فردَّ، فقلت: إنَّ للعارفين مقامات، وإنَّ للمشتاقين علامات. فقال: ويحك يا دارانيّ! وما هي؟ قلت: كتمانُ المصائب، وصيانةُ الكرامات، فقال: أحسنتَ زدني، فقلت: لا تُرِدْ غيرَه، ولا ترجُ سواه، وإيَّاك والدنيا، واتخذ الفقرَ غنى، والبلاءَ شفاء، والتوكُّلَ عليه معاشاً، والحبيبَ عدَّة. فقال: أحسنت، ثم حُجب عنِّي[(٤)].

[وقال أحمد: خرجتُ مع أبي سليمانَ إلى بيت المقدس، فبينما نحن بجُبِّ يوسفَ عليه السلام، إذا أنا بشابٍّ نحيلِ الجسم كثيرِ الهمّ، فسلَّم على أبي سليمانَ وقال: أنت المذكورُ بالمعرفة، فهل لك أن تكسبَ أجري؟ قال: اسأل، قال: ما علامةُ المريد؟ فقال: إقبالُه على ما يريد وتركُه كلَّ خليطٍ لا يريد، قال: فصاح وغُشي عليه، فرقَّ له أبو سليمانَ وقعد عند رأسِه، فلمَّا أفاق قال له: أنا ميِّت القلب قليلُ الفهم، فارفقْ بي، قال: قل، قال: متى يعلم المريدُ أنَّه مريد؟ وفي رواية: مراد، فقال: [إذا][(٥)] أنزل نفسَه منزلةَ راكبِ البحر، فهو يتوقَّع موجاً يُغرقه أو ريحاً تُعطبه. ثم غُشي عليه وفاته صلوات، فلمَّا أفاق قال له: أَعِد ما فاتك من الصَّلوات، قال: كلِّي فائت، ثم أخذ في البكاء، فقمنا وتركناه].

وقال أحمد: اشتهى أبو سليمانَ رغيفاً حارًّا بملح، فجئت به إليه، فعضَّ منه ثم

---

(١) في طبقات الأولياء: بليت.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (ب): ينصب.
(٤) مناقب الأبرار ١/ ٢٣٠.
(٥) ما بين حاصرتين يقتضيه سياق الكلام، والحكاية ليست في (خ).

قال: إلهي عجلتَ لي بشهوتي، لقد أطلتَ شِقوتي. ثم بكى بكاءً شديداً وقال: واللهِ لا ذقتُ مِلحاً أبداً حتى ألقاك[1].

[ذِكر نُبذةٍ من كلامه:

روى الخطيبُ[2] عن أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ قال: سمعت أبا سليمانَ يقول[3]:] مفتاحُ الدنيا الشِّبع، ومفتاحُ الآخرة الجوع، وأصلُ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرةِ الخوفُ من الله تعالى، وإنَّ اللهَ تعالى يعطي الدنيا من يحبُّ ومَن لا يحب، ولا يعطي الآخرةَ إلا مَن يحبّ. لَأَن أتركَ من عَشائي لقمةً أحبُّ إليَّ من قيام ليلة.

و[حكى الخطيبُ[4] عنه أنَّه] قال: كلُّ ما شغلك عن الله من مالٍ وولدٍ وأهلٍ فهو عليك مشؤوم.

و[حكى عنه أبو نُعيم[5] أنَّه] قال: كلَّما ارتفعت منزلةُ القلبِ كانت العقوبةُ إليه أسرع.

وقال [أبو سليمان]: ربما مثَّلت رأسي بين جبلَين من نارٍ وأنا أهوي فيها حتى أبلغَ قَعرَها، فكيف يتهنَّأ بالعيش مَن هذه حالُه!

[وحكى أبو نعيم[6] أيضاً عن أحمدَ بن أبي الحَوَاري قال لأبي سليمان: لقد غبطتُ بني إسرائيل، يبقى أحدُهم في الدنيا سنين كثيرةً يتعبَّد حتى يصيرَ مثل الشَّنِّ البالي، فقال: ظننتُ أنك جئتنا بشيء، إنَّ اللهَ لا يريد منا أن تيبسَ جلودُنا على عظامنا، وإنما يريد منا الصِّدق، قال: أحدٌ منَّا إذا صدق عشرةَ أيامٍ لله تعالى نال ما نال أولئك في سنينَ كثيرة.]

وقال: الهالكُ مَن هلك في آخر سفرِه وقد قارب المنزل.

(١) الخبران في مناقب الأبرار ١/ ٢٢٩، ٢٣١.
(٢) في تاريخه ١١/ ٥٢٥. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ): وقال أبو سليمان.
(٤) في تاريخه ١١/ ٥٢٥. وما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في الحلية ٩/ ٢٥٧، ٢٦١.
(٦) في الحلية ٩/ ٢٦٣.

[وروى أبو نُعيم[١] أنَّ رجلاً سأله فقال:][٢] ما أقربُ ما يتقرَّب به العبدُ إلى الله تعالى؟ فبكى وقال: مِثلي يُسأل عن هذا! أقربُ ما يَتقرَّبُ به العبدُ إلى الله تعالى أن يطَّلعَ على قلبه فيرى أنَّه لا يريد من الدنيا والآخرةِ سواه.

و[حكى عنه أيضاً أنَّه][٣] قال: إذا اعتادت النفوسُ تركَ الآثام، رتعت في عالَم المَلَكوت ورجعتْ بطرائف الحكمة.

و[روى ابنُ أبي الدنيا أنَّه] قال: إذا كانت الدُّنيا في قلبٍ لم تزحمها الآخرة، وإذا كانت الآخرةُ في قلب زَحَمَتْها الدنيا؛ لأنَّ الدنيا لئيمة، والآخرةَ كريمة.

وسئل عن الرِّضا فقال: أمَّا نحن، فقد انتهى قدمُنا إلى مكانٍ لو أمر بنا إلى النار لَمشينا إليها على رؤوسنا، فإذا قال [لنا]: لِمَ فعلتم هذا؟ [قلنا]: لأنَّه منتهى إرادتِك فينا. و[في رواية] قال: لو أسكنني النارَ لكنتُ أرضى ممَّن هو في الفِردوس الأعلى.

و[حكى عنه ابنُ باكويه الشيرازيُّ أنه] قال: يوحي اللهُ إلى جبريل: اسلُبْ عبدي حلاوةَ مناجاتي، فإن تضرَّع إليَّ فردَّها إليه، وإلَّا فلا.

وقال: [وكان يقول:] وعزَّتِك لَئن طالبتني بذنوبي طالبتُك بعفوك، ولئن أسكنتَني النارَ بين أعدائك لأحدثنَّهم أنِّي أحبُّك[٤].

[قال:] وقال: الصادقُ مَن تعظك رؤيتُه قبل كلامه. [قال:] وقال: ما يسرُّني أن تكونَ لي الدنيا حلالاً وأنا أُسأل عنها يومَ القيامة.

[وحكى أيضاً ابن باكُويه عن] أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ قال[٥]: دخلتُ على أبي سليمانَ وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: كيف لا أبكي وإذا جنَّ الليلُ ونامت العيون، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وافترش أهلُ المحبَّة جباهَهم، و[نصبوا] أقدامَهم،

(١) في الحلية ٩/ ٢٥٦.
(٢) في (خ): وسأله رجل فقال.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) أخرجه عنه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٥٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٠).
(٥) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري.

وجرت دموعُهم(١) على خدودهم، وقطرتْ في محاريبهم، أشرف الجليلُ سبحانه وتعالى عليهم فيقول: يا جبريل، بعيني مَن تلذَّذ بكلامي، واستراح إلى مناجاتي، نادِ فيهم: ما هذا البكاء؟! هل رأيتم حبيباً يعذِّب أحبابَه، أم كيف يَحسُن بي أن أعذِّبَ أقواماً إذا جنَّهم الليلُ تملَّقوا لي! فَبِي حلفت، لَأكشفنَّ لهم عن وجهي إذا وردوا إليّ، فأَنظر إليهم وينظرون إليّ.

وكان يقول: إذا ذكرتُ ذنوبي لم أحبَّ الموت، وأقول: لعلِّي أن أبقى حتى أتوب.

[وهذه رواياتُ ابنِ أبي الدنيا وابنِ باكُويه وأبي نُعيم والخطيب. وقد حكى أبو عبدِ الرحمن وابنُ خميسٍ في كتاب «مناقب الأبرار» وغيرُهم جملةً من كلامه، فمن ذلك أنَّه](٢) قال: ربَّما يقع في قلبي النكتةُ من نُكَت القومِ أياماً، فلا أقبلها إلَّا بشاهدين عَدْلَين من الكتاب والسُّنَّة.

وقال: إذا غلب الرجاءُ على الخوف فسد القلب، ومَن صارع الدنيا صرعتْه، ومَن أحسن في ليله كوفئ(٣) في نهاره، ومَن أحسنَ في نهاره كوفئ في ليله، ومَن صدق في ترك شهوة، أذهبها اللهُ عن قلبه.

وقال: إنَّ اللهَ يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائمٌ يصلِّي.

وقال: الصوتُ الحسن لا يدخل القلب، ولكن يحرِّك ما فيه.

وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: سألت أبا سليمانَ فقلت: كيف تقوى قلوبُهم على ما يَرِد عليهم من الواردات الإلهية؟ فقال: هو أكرمُ من أن يبلِّغَهم منزلاً لا تقوى عليه قلوبُهم.

وقال: الاحتلامُ عقوبةٌ من الله تعالى، ألا ترى أن أنبياءَ الله عُصموا منه؟ وقال: ليت قلبي في القلوب مثلُ ثوبي في الثِّياب. وقال: القلبُ إذا جاع وعطش صفا ورقّ، وإذا شبع قسا وعَمِي.

---

(١) في (خ): عيونهم، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في مناقب الأبرار ١/ ٢٢٣، وصفة الصفوة ٤/ ٢٢٩، وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر طبقات السلمي ص٧٧-٧٨، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢١ وما بعدها.

(٣) في (خ): عوفي، في الموضعين والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في طبقات السلمي ص٧٧، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢١ وما بعدها.

وقال: من أحسن المعاريضِ قولُه تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] هدَّد بلطف.

وقال: مَن أراد واعظاً فصيحاً، فلْينظر إلى اختلاف الليلِ والنهار. وقال: علِّموا النفوسَ الرِّضا بمجاري الأقدار، فلَنِعْمَ الوسيلةُ هو إلى درجات المعرفة.

وقال: مَن أظهر الانقطاعَ إلى الله تعالى وجب عليه خلعُ ما دونه، ومَن كان الصدقُ وسيلتَه، كان الرِّضا من الله جائزتَه، ولو بكى باكٍ أو محزونٌ في أمَّة، لَرحم اللهُ تلك الأمَّةَ ببكائه.

وقال: لا يأتي الوسواسُ إلا إلى كلِّ قلبٍ عامر، أرأيتَ لصًّا يأتي خربةً فينقبها! إنَّما ينقب بيتاً فيه رُزَم.

وقال: يلبَس أحدُكم عباءةً قيمتُها ثلاثةُ دراهمَ وفي قلبه شهوةٌ بأربعة دراهم! أفما يستحي أن تجاوزَ شهوتُه لباسَه! ولو ستر حالَه بثوبين أبيضَين كان أسلَمَ له، وإذا لم يبقَ [في][1] قلبه شيءٌ من الشهوات، جاز أن يتدرَّعَ عباءة؛ فإنَّ العباءةَ عَلَمٌ من أعلام الزُّهد.

[وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: قال لي: كن كوكباً، فإن لم تكن فكن قمراً، فإن لم تكن فكن شمساً. قال: فقلت: بيِّن لي ما تقول، فقال: قم من أوَّل الليلِ إلى آخره، فإن لم تقوَ على قيام الليل كلِّه فكن كالقمر، يطلع في بعضه ويغيبُ في بعضه، فنم بعضَ الليل وقم بعضَه، فإن لم تقدرْ على قيام بعضِ الليل فلا تعصِ اللهَ في النهار[2].

وقال: لو نُقشت المعرفةُ على بناء، لكان كلُّ مَن رآها مات من حُسنها وجمالها][3].

وقال يوماً: الناسُ في الدنيا رجلان: رجلٌ أحبَّ اللهَ فأحبَّ الموتَ شوقاً إلى لقائه، ورجلٌ أحبَّ البقاءَ لإقامة حقِّ الله. فقام فتًى فقال: يا أبا سليمان، ورجلٌ ثالث، قال: مَن هو؟ قال: من لا يختار هذا ولا هذا بل يختار ما اختار اللهُ له، فقال: احتفظوا

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر مناقب الأبرار ١/ ٢٢٤، وتاريخ دمشق ٩/ ٨٣٧ (مخطوط).
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٦١، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢٤ـ٢٢٥.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر مناقب الأبرار ١/ ٢٢٥.

بالغلام[١] فإنَّه صِدِّيق.

وقال: الزهَّاد بخُراسان، والفقهاءُ بالعراق، والأبدالُ بالشام.

[وقال: لما كلَّم اللهُ موسى، جاءه إبليسُ فوسوس له وقال: إنَّ الذي يكلِّمك شيطان، فأوحى اللهُ إليه: ياموسى، ارفع رأسَك، فرفع رأسَه، فإذا بالسماء قد كُشطت، والعرشِ قد برز، والملائكةِ قيامٌ في الهواء.

ذِكر وفاته:

اختلفوا -فيما ذكر الخطيبُ- على ثلاثة أقوال[٢]: أحدها في هذه السَّنة. والثاني: في سنة خمسَ عشرةَ[٣] ومئتين، وذكره السلمي وابن خَميس في «المناقب»[٤]. والثالث: في سنة خمسٍ وثلاثين ومئتين[٥]. ثم قال الخطيب: والقول الأوَّل أصحّ، يعني سنةَ خمس ومئتين؛ لأنَّه قول أهلِ الشام، وهم أعرفُ بهذا من غيرهم.

وقال جدِّي في «المنتظم»[٦]: وقد قيل: إنَّه مات في سنة خمسَ عشرةَ ومئتين، ولا يصحُّ، والأصحُّ أنه في سنة خمسٍ ومئتين[٧]. ودُفن بداريا وقبرُه بها ظاهرٌ يزار.

وحكى الحافظُ ابن عساكرٍ[٨] عن] أحمد بن أبي الحَوَاري قال[٩]: رأيت أبا سليمانَ في المنام بعد وفاته بسنة، فقلت: يا معلِّم الخير، ما فعل اللهُ بك؟ فقال: لي سنةٌ في

(١) في (ب): احفظوا نبذ الغلام.
(٢) القول الثالث لم يذكره الخطيب، انظر تاريخه ١١/ ٥٢٥-٥٢٦ .
(٣) في (ب): خمس وثلاثين. ولعله سهو، وهو القول الثالث كما سيذكر. وانظر ما سلف أول الترجمة.
(٤) طبقات الصوفية ص٥٧، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢١..
(٥) كذا في معجم البلدان ٢/ ٤٣١، رقماً لا كتابة، وفي تاريخ دمشق ٩/ ٨٤٢ عن أحمد بن أبي الحواري: مات أبو سليمان سنة خمس ومئتين وثلاثين (كذا)، ثم قال ابن عساكر: كذا قال، وقوله: وثلاثين، وهم، والله أعلم.اهـ. قلت: ويؤيد كونه وهماً أن الخطيب أخرجه عن أحمد بن أبي الحواري ولم يذكر فيه: وثلاثين.
(٦) ١٠/ ١٤٦ .
(٧) وقال ابن عساكر في تاريخه ٩/ ٨٤١-٨٤٢: بلغني عن محمد بن يوسف الهروي أن أبا سليمان مات سنة أربع ومئتين. وفي فوات الوفيات ٢/ ٢٦٦: مات سنة خمس وعشرين ومئتين. وهذا القولان لم يذكرهما المصنف.
(٨) في تاريخه ٩/ ٨٤٢ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٩) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري.

الحساب، قلت: ولِم؟ قال: خرجتُ يوماً من دارنا أريد دمشق، فلمَّا قربت من الباب الصغير، إذا بحِملِ شِيح، فأخذت منه عوداً، فلا أدري أتخلَّلته أم رميتُه، فأنا منذ متُّ أُحاسَب عليه.

أسند عن عبد الواحد بنِ زيد [وصالحِ بن عبد الجليل وعليِّ بن الحسنِ بن أبي الربيع] وغيرِه [وجالس سفيانَ الثوريَّ بمكَّة. وروى عنه أحمدُ بن أبي الحواري، وكان خصيصاً به، وهو الذي دوَّن كلامه، وإسحاقُ بن عبد المؤمن الدِّمشقي، وعبدُ الرحيم[١] بن صالحٍ وحميدُ بن هاشم الدارانيَّان، وذكر الحافظ ابن عساكر[٢] جماعةً آخرين.

وقال الخطيب[٣]: لم يُسنِد أبو سليمانَ، إلَّا حديثاً واحداً. وقد ذكره الخطيب، وقد أخرج له جدِّي في «الصَّفوة»[٤] أحاديث].

وكان له ولدٌ اسمه سليمان، به كان يُكنى، وكان على منهاج أبيه في الزُّهد والورع، توفِّي بعد أبيه بيسير.

[فصل وفيها توفي]

نُمير الكوفيُّ المصاب

[حدَّثنا غيرُ واحد عن أبي الفضل بنِ ناصرٍ بإسناده إلى العباس بنِ محمد بنِ عبد الرحمن الأشهلي: حدَّثني أبي عن] ابن نُميرٍ قال[٥]: كان لي ابنُ أخت سمَّتْه أختي باسم أبي نمير، وكان من نسَّاك أهلِ الكوفة [قد سمع سَماعاً حسناً وكان حسن الطهور للصلاة، يراعي الشمس للزوال][٦] فعرض له عارضٌ فذهب عقله، فكان لا يُؤويه سقفُ بيت، إذا كان النهارُ فهو في الجَبَّانة، وإذا كان الليلُ ففي السطح قائماً على رِجلَيه في البرد والمطرِ والريح، فنزل يوماً بُكرةً يريد المقابر، فقلت: يا نمير، ألا تنام؟! قال: لا، قلت: أيُّ شيءٍ يمنعك [من النوم]؟ فقال: هذا البلاءُ الذي تراه،

---

(١) في (ب): عبد الرحمن، والتصويب من المصادر. والكلام ليس في (خ).

(٢) في تاريخه ٩/ ٨٢٣.

(٣) في تاريخه ١١/ ٥٢٣.

(٤) ٤/ ٢٣٢-٢٣٤.

(٥) في (خ): قال ابن نمير. وانظر المنتظم ١٠/ ١٤٦، وصفة الصفوة ٣/ ١٨٦، وعقلاء المجانين ص١٠٣-١٠٤.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق للمنتظم وصفة الصفوة.

[قال] فقلت: [يا نمير] ألا تخاف الله؟ قال: بلى، ثم قال: أليس يقال: «أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثل»[(١)]؟ قلت: أنت أعلمُ منِّي.

قال: وصعدت إليه ليلةً باردة وهو قائم في السطح وأمُّه تبكي وهي قائمة، فقلت: يا نمير، بقي منك شيءٌ لم تنكرْه؟ قال: نعم [قلت: وما هو؟ قال]: حبُّ الله ورسولِه.

قال: وصعدت إليه ليلةً في رمضان، فقلت له: لو أفطرتَ معنا[(٢)]، قال: ولم؟ قال: أحبُّ أن تراك أختي تأكل معنا، فقال: نعم، فلمَّا فرغنا [من الأكل][(٣)] رحمتُه [من أن يراني مولِّياً وهو في الظُّلمة والريح فبكيتُ][(٤)] فغضب فقال: إنَّ لي ربًّا هو أرحمُ بي منك، وأعلمُ بما يصلحني، فدعْه يتصرَّف فيَّ كيف شاء، فإني لا أتَّهمه في قضائه، فقلت: لَئن كنتَ في ظلمة [الليلِ إنَّ جدَّك في ظلمة] اللَّحد، أريد أن أعزِّيه وأطيِّبَ نفسه، فقال: ما جعل روح رجلٍ [صالح] مثلَ روحِ رجل متلوِّث[(٥)]، ثم قال: أتاني البارحةَ أبي وأبوك عبدُ الله بن نمير [فأشار إلى موضعٍ كان يصلِّي فيه أبي، قال:][(٦)] فقال لي: يا نمير، أما إنَّك ستأتينا يومَ الجمعة شهيداً.

قال: فأخبرت أمَّه، فقالت: واللهِ ما جرَّبت عليه كذباً قطّ، وما قال إلا حقًّا، وكانت هذه المقالةُ عشيةَ الأربعاء، فجعلنا نتعجَّب ونقول: غداً الخميس [وبعد غدٍ الجمعة، فهبْه مرض غداً ومات بعدَ غد، فأين الشهادة!] فلمَّا كان ليلة الجمعة، سمعنا هدَّةً وسطَ الليل، فإذا هو قد هاج به ما كان يهيج، فبادر الدَّرجة، فزلَّت قدمُه فسقط فاندقَّت عُنقه، فحفرتُ له إلى جانب أبي ودفنته [وانكببتُ على قبر أبي وقلت: يا أبي، قد أتاك نميرٌ وجاورك] وانصرفت.

فلمَّا كان من الليل نمتُ، فرأيتُ أبي في النوم قد دخل من باب البيتِ وقال [لي]: يا بُني، جزاك اللهُ خيراً [لقد] آنستَني بنمير، إنَّه منذ أتيتمونا به إلى أن جئتُك يزوَّج بالحور العِين.

---

(١) هو حديث أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعاً.

(٢) في المصدرين: يا نمير لم أفطر.

(٣) زيادة من المصدرين يقتضيها السياق.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو موافق للمصدرين.

(٥) في (ب): منكوب.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق للمصدرين.